وصية الشهيد

د. عبدالله يوسف عزام

في ذكراه (33)

وصيةُ العبدِ الفقيرِ إلى اللهِ تعالى

عبد الله بن يوسف عزّام رَحِمَهُ ٱللَّهُ

❁ من بيت القائد البطل الشيخ جلال الدين حَقَّاني، وفي عصر الإثنين الثاني عشر من شعبان (1406هـ) الموفق العشرين من نيسان (إبريل) سنة (1986م) أكتب هذه الكلمات:

❁ إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلًا.

❁ لقد مَلَكَ حُبُّ الجهاد عليَّ حياتي ونفسي ومشاعري وقلبي وأحاسيسي، إنَّ سورة التوبة بآياتها المحكمة التي مَثَّلَتِ الشِّرْعَةَ النهائية للجهاد في هذا الدين وإلىٰ يوم الدين، لتعتصر قلبي ألمًا، وتُمزِّق نفسي أسًىٰ وأنا أرىٰ تقصيري وتقصير المسلمين أجمعين تجاه القتال في سبيل الله.

❁ إنَّ آية السيف التي نسخت قبلها نيفًا وعشرين آية -أو أربعين آية- بعد المائة من آيات الجهاد لهي الردُّ الحاسم والجواب الجازم لكل من أراد أن يتلاعب بآيات القتال في سبيل الله، أو يتجرأ علىٰ محكمها بتأويل، أو صرفها عن ظاهرها القاطع الدلالة والقطعي الثبوت.

وآية السيف ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾[1]، أو آية: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾[2].

❁ إنّ التبرير للنفس بالقعود عن النفير في سبيل الله، وإنّ تعليل النفس بعلل تخدر مشاعرها فترضىٰ بالقعود عن القتال في سبيل الله لَهْوٌ وَلَعِبٌ، بل اتخاذ دين الله لهوًا ولعبًا، ونحن أمرنا بالإعراض عن هؤلاء بنص القرآن: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾[3].

---

(1) [التوبة: 36].

(2) [التوبة: 5].

(3) [الأنعام: 70].

❁ إنّ التّعلّل بالآمال دون الإعداد لَهُوَ شأن النفوس الصغيرة التي لا تطمح أن تصل إلىٰ القمم، ولا أن ترقىٰ إلىٰ الذرىٰ:

وإذا كانت النفوس كبارا *** تعبت من مرادها الأجسام

❁ إن الجوار في المسجد الحرام وعمارته لا يمكن أن يقاس بالجهاد في سبيل الله، وفي صحيح مسلم أن آية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[1].

هذه الآيات نزلت عندما اختلف الصحابة في أفضل الأعمال بعد الإيمان، فقال أحدهم: عمارة المسجد الحرام، وقال آخر: بل سقاية الحجيج، وقال الثالث: بل الجهاد في سبيل الله. فهذه الآيات نصٌّ في المسألة، أن الجهاد في سبيل الله أعظمُ من عمارة المسجد الحرام، وخاصة أن صورة سبب النزول هي خلاف الصحابة حول هذه المسألة.

---

(1) [التوبة: 19، 21].

❁ وصورة سبب النزول لا يجوز تخصيصها ولا تأويلها؛ لأنّ معناها قاطع في النصِّ. ورحم الله عبد الله بن المبارك إذ يرسل إلىٰ الفضيل بن عياض:

يا عابدَ الحرمين لَوْ أبصرتنا ❊❊❊ لعلمتَ أَنَّكَ بالعبادة تلعبُ

مَنْ كان يَخضُب خَدَّه بدموعه ❊❊❊ فنحورنا بدمائنا تتخضب

أرأيت قولَ الفقيه المحدِّث ابن المبارك للفضيل: إنَّه يرىٰ أنّ جوار الحرم، والعبادة فيه، في الوقت الذي تنتهك فيه الحرمات وتسفك الدماء، وتستباح الأعراض، ويجتث فيه دين الله من الأرض -أقول يراه- لعبًا بدين الله.

نعم، إن تَرْكَ المسلمين في الأرض يذبحون، ونحن نحوقل ونسترجع ونفرك أيدينا من بعيد دون أن يدفعنا هذا إلىٰ خطوة واحدة تقدمنا نحو قضية هؤلاء لَهْوٌ وَلَعِبٌ بدين الله، ودَغْدَغَةٌ لعواطف بَاردة كاذبة طالما خدعت النفس التي بين جنباتها.

كيف القرار وكيف يهدأ مسلم ❊❊❊ والمسلمات مع العدو المعتدي

❁ إنِّي أرىٰ كما كتبت في كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) كما يرىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية من قبلي: (والعدوُّ الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه).

❁ إني لا أرىٰ -والله أعلم- أي فرق اليوم بين تارك القتال في سبيل الله وبين تارك الصلاة والصيام والزكاة.

❁ إني أرىٰ أهل الأرض جميعًا الآن أمام مسؤولية عظيمة أمام ربِّ العالمين ثمّ بين يدي التاريخ.

❁ إني أرىٰ أنّه لا يعفىٰ عن مسؤولية ترك الجهاد شيء سواء كان ذلك دعوة أو تأليفًا أو تربية أو غير ذلك.

❁ إني أرىٰ أنّ كلّ مسلم في الأرض اليوم منوط في عنقه تبعة ترك الجهاد (القتال في سبيل الله) وكلّ مسلم يحمل وِزرَ ترك البندقية، وكلّ من لقيٰ الله -غير أولي الضرر- دون أن تكون البندقية في يده فإنّه يلقىٰ الله آثمًا؛ لأنه تاركٌ للقتال، والقتال الآن فرض عين علىٰ كل مسلم في الأرض -غير المعذورين-، وتارك الفرض آثم؛ لأن الفرض: ما يثاب فاعله ويحاسب أو يأثم تاركه.

❁ إنّني أرىٰ -والله أعلم- أنّ الذين يعفون أمام الله بسبب تركهم الجهاد هم: الأعمىٰ والأعرج والمريض، والمستضعفون من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا، أي لا يستطيعون الانتقال إلىٰ أرض المعركة، ولا يعرفون الطريق إليها.

والناس كلُّهم آثمون الآن؛ بسبب ترك القتال سواء كان القتال في فلسطين، أو في أفغانستان، أو أية بقعة من بقاع الأرض التي ديست من الكفار، ودنست بأرجاسهم.

❁ وإني أرىٰ أنَّ لا إذنَ لأحدٍ اليوم في القتال والنفير في سبيل الله، لا إذن لوالد علىٰ ولده، ولا لزوج علىٰ زوجته، ولا لدائن علىٰ مدينه، ولا لشيخ علىٰ تلميذه، ولا لأمير علىٰ مأموره.

هذا إجماع علماء الأمة جميعًا في عصور التاريخ كلها، إنّه في مثل هذه الحالة يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، ومن حاول أنْ يغالط في هذه القضية؛ فقد تعدَّىٰ وظلم، واتبع هواه بغير هدىً من الله.

❁ قضية حاسمة واضحة لا غبش فيها ولا لبس، فلا مجال لتمييعها، ولا حيلة لأحد في التلاعب فيها وتأويلها.

إنّ أمير المؤمنين لا يُسْتَأْذن في الجهاد في حالات ثلاث:

1- إذا عطَّل الأمير الجهاد.

2- إذا فوّت الاستئذان المقصود.

3- إذا علمنا منعه مقدمًا.

❁ إنَّني أرىٰ أنَّ المسلمين اليوم: مسؤولون عن كلِّ عِرْضٍ يُنتهك في أفغانستان، وعن كلِّ دم يسفك فيها، إنَّهم -والله أعلم- مشتركون في دماءهم؛ بسبب تقصيرهم؛ لأنّهم يملكون أن يقدّموا لهم السلاح الذي يحميهم، والطبيب الذي يعالجهم والمال الذي يشترون به الطعام، والحفّارة التي يحفرون بها الخنادق.

وقد جاء في حاشية الدسوقي علىٰ الشرح الكبير (2/ 111-112): (أنَّ من كان يملك فضل طعام ورأىٰ جائعًا وتركه حتىٰ مات فإنْ كان صاحب الطعام متأولًا -يظنه لا يموت-؛ فإنّه يدفع ديته من عاقلته (أقاربه)، وإن كان عامدًا؛ فقد جاءت روايتان في المذهب: إحداهما: أنه يَدفع ديته من ماله الخاص، والرواية الثانية: أنّه يُقتص منه؛ لأنّه قاتل).

❁ فأيُّ حساب وأيُّ عقاب ينتظر أصحاب الثروات والأموال التي تُهْدَرُ علىٰ الشهوات، وتراق عبثًا علىٰ الأهواء والكماليات.

❁ فيا أيها المسلمون:

حياتكم الجهاد، وعِزُّكم الجهاد، ووجودكم مرتبط ارتباطًا مصيريًا بالجهاد.

❁ يا أيُّها الدعاة:

لا قيمة لكم تحت الشمس إلا إذا امتشقتم أسلحتكم وأبدتم خضراء الطواغيت والكفار والظالمين.

إنَّ الذين يظنون أنّ دين الله يمكن أن ينتصر بدون جهاد وقتال ودماء وأشلاء هؤلاء واهمون، لا يدركون طبيعة هذا الدين.

إنَّ هيبة الدعاة وشوكة الدعوة وعزة المسلمين لن تكون بدون قتال:

«لَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

(1) سنن أبي داود (4/ 111)، حديث رقم: (4297)، صحيح.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾[1].

إن الشرك سيعم ويسود بدون قتال ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[2] والفتنة هي الشرك.

إنّ الجهاد هو الضمان الوحيد لصلاح الأرض: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾[3].

إنّ الجهاد هو الضمان الوحيد لحفظ الشعائر وبيوت العبادة ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾[4].

يا دعاة الإسلام:

احرصوا علىٰ الموت؛ توهب لكم الحياة، ولا تغرنكم الأماني ولا يغرنكم بالله الغرور، وإيَّاكم أن تخدعوا أنفسكم بكتب تقرؤونها، وبنوافل

---

(1) [النساء: 84].

(2) [البقرة: 193].

(3) [البقرة: 251].

(4) [الحج: 40].

تزاولونها، ولا يحملنّكم الانشغال بالأمور المريحة عن الأمور العظيمة، ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾[1]، ولا تطيعوا أحدًا في الجهاد، لا إذن لقائد في النفير إلىٰ الجهاد، إنّ الجهاد قوائم دعوتكم، وحصن دينكم، وترس شريعتكم.

❁ يا علماء الإسلام:

تقدموا لقيادة هذا الجيل الراجع إلىٰ ربّه، ولا تَنْكلوا، وتركنوا إلىٰ الدنيا، وإيَّاكم وموائد الطواغيت؛ فإنّها تظلم القلوب، وتميت الأفئدة، وتحجزكم عن الجيل، وتحول بين قلوبهم وبينكم.

❁ يا أيها المسلمون:

لقد طال رقادكم، واستنسر البغاث في أرضكم، وما أجمل أبيات الشاعر:

طال المنام علىٰ الهوان *** فأين زمجرة الأسود
واستنسرت عصب البغاة *** ونحن في ذل العبيد
قيد العبيد من الخنوع *** وليس من زرد الحديد
فمتىٰ نثور علىٰ القيود *** متىٰ نثور علىٰ القيود

(1) [الأنفال: 7].

❁ يا معشر النساء:

إياكُنّ والترف؛ لأنَّ الترف عدو الجهاد، والترف تلف للنفوس البشرية، واحذرن الكماليات، واكتفين بالضروريات، وربين أبناءكنَّ علىٰ الخشونة والرجولة، وعلىٰ البطولة والجهاد، لِتَكُنْ بيوتكن عَرِينا لأسود، وليس مزرعة للدجاج الذي يُسَمَّنُ ليذبحه الطغاة، اغرسن في أبنائكن حبَّ الجهاد، وميادين الفروسية، وساحات الوغىٰ، وعِشْنَ مشاكل المسلمين، وحاولن أن تكن يومًا في الأسبوع علىٰ الأقل في حياة تشبه حياة المهاجرين والمجاهدين، حيث الخبز الجاف، ولا يتعدىٰ الإدام، جرعات من الشاي.

❁ يا أيها الأطفال:

تربوا علىٰ نغمات القذائف، ودويِّ المدافع، وأزيز الطائرات، وهدير الدبابات، وإيَّاكم وأنغام الناعمين، وموسيقىٰ المترفين، وفراش المتخمين.

❁ أمَّا أنت أيتها الزوجة، ففي النفس الكثير والكثير أريد أنْ أبثَّه إليكِ:

يا أمَّ محمد، جزاك الله عني وعن المسلمين خير الجزاء. لقد صبرتِ معي طويلًا علىٰ لأواء الطريق، وتجرعتِ معي كؤوس الحياة حلوها ومرِّها. وكنتِ خير عون لي علىٰ أنْ أنطلق في هذه المسيرة المباركة، وأن أعمل في ميدان الجهاد.

لقد تركتِ علىٰ كاهلك البيت سنة (1969م) أيام كان لدينا طفلتان وولد صغير، فعشت في غرفة واحدة من الطين، لا مطبخ لها ولا منافع، وتركتُ علىٰ عاتقك البيت يوم أن ثقل الحِمْل، وزادت العائلة، وكبر الأولاد، وكثرت معارفنا، وزاد ضيوفنا، فاحتملتِ لله ثم من أجلي القليل والكثير؛ فجزاكِ الله عني خير الجزاء، ولولا الله، ثم صبرك علىٰ غيابنا الطويل عن البيت ما استطعت أن أحتمل هذا العبء الثقيل وحدي.

لقد عرفتكِ زاهدةً في الحياة، لم تشتكي أيام الشدة من قلة ذات اليد، ولم تترفي، ولم تبطري أيام أن فُتح علينا قليل من الدنيا، لم تكن الدينا في قلبك، بل كانت معظم الوقت في يدك.

إن حياة الجهاد ألذُّ حياة، ومكابدة الصبر علىٰ الشظف أجمل من التقلب بين أعطاف النعيم وجوانب الترف، الزمي الزهد؛ يحبك الله، وازهدي بما في أيدي الناس؛ يحبك الناس.

القرآن هو متعة العمر، وأنس الحياة، والقيام وصيام النافلة والاستغفار في الأسحار يجعل للقلب شفافية، وللعبادة حلاوة، وصحبة الطيبات، وعدم التوسع في الدنيا، والبعد عن المظاهر، وعن أهل الدنيا راحة القلوب، وآمل من الله أن يجمعنا في الفردوس كما جمعنا في الدنيا.

❁ وأما أنتم يا أبنائي:

إنكم لم تَحْظَوْا من وقتي إلا بالقليل، ولم ينلكم من تربيتي إلا اليسير، نعم لقد شغلت عنكم، ولكن ماذا أصنع ومصائب المسلمين تذهل المرضعة عن رضيعها، والأهوال التي أَلَمَّتْ بالأمة الإسلامية تُشيّب نواصي الأطفال.

والله ما أطقت أن أعيش في قفصي معكم كما تعيش الدجاجة مع فراخها، لم أستطع أن أحيا بارد النفس ونار المحنة تحرق قلوب المسلمين، لم أرضَ أنْ أبقىٰ بينكم طيلة وقتي وأحوال المسلمين تُمزِّق كلَّ من له قلب أو بقية من لب، ليس من المروءة أن أعيش بينكم أتقلب

بين أعطاف النعيم، توضع لي صحفة، وترفع صحفة، بين أطباق اللحوم وأنواع الحلويات؛ والله لقد كنت في حياتي أمقت الترف، سواء كان ذلك في ثياب أو طعام أو مسكن، وحاولت أن أرفعكم ما استطعت إلىٰ مقام الزاهدين، وأبعدكم عن مستنقع المترفين.

أوصيكم بعقيدة السلف (أهل السنة والجماعة) وإياكم والتنطع، أوصيكم بالقرآن تلاوةً وحفظًا، وبحفظ اللسان، وبالقيام والصيام، وبالصحبة الطيبة، وبالعمل مع الحركة الإسلامية، ولكن اعلموا أنّه ليس لأمير الحركة أي سلطة عليكم بحيث يمنعكم من الجهاد، أو يزين لكم البقاء للدعوة بعيدًا عن مصانع الرجولة وميادين الفروسية، لا تأخذوا إذن أحد للجهاد في سبيل الله، ارموا واركبوا، ولأن ترموا أحبُّ إليَّ من أن تركبوا.

أوصيكم يا أبنائي بطاعة أمكم، واحترام أخواتكم (أم الحسن وأم يحيىٰ)، وأوصيكم بالعلم النافع الشرعي، وأوصيكم بطاعة أخيكم الكبير محمد واحترامه، وأوصيكم بالمحبة فيما بينكم، وبروا جدَّكم وجدَّتكم، وأكرموهما كثيرًا، وبروا عمتيكم (أم فايز وأم محمد)؛ فلهما بعد الله فضل

كبير عليَّ، صِلُوا أرحامنا، وبروا أهلنا، وأوفوا بحقِّ صحبتنا لمن صاحبنا[1].

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

عبد الله بن يوسف عزام

(1) وأما الأحزاب الجهادية: فاهتموا كثيرًا بسياف وحكمتيار ورباني وخالص؛ لأننا نأمل منهم أن يواصلوا مسيرة الجهاد، وأن يحفظوا مسيرته من الانحراف، ولا تنسوا القادة في الداخل، خاصة جلال الدين وأحمد شاه مسعود، والمهندس بسير، وصفي الله أفضلي، ومولوي أرسلان، وفريد ومحمد علم، وشير علم/ بغمان، وسيد محمد حنيف/ اللوكر.

إن الذين يظنون أن دين الله يمكن أن ينتصر بدون جهـاد وقتـال ودمـاء وأشـلاء، هؤلاء واهمـــون، لا يدركـون طبيعة هذا الديـن.

وصية الشيخ عبد الله عزام

لـن يهدأ لنا بـال
ولن يقر لنا قـرار
حتى نعود للجهاد
في فلسطيـن